الباب الأول

التدخين

نشأته وأصله واستعماله

لم يعرف التدخين فى الدنيا القديمة قبل أن يستكشف كرستوف كولومب القارة الأمريكية . فقد نشأ التدخين أول مانشأ فى أمريكا الجنوبية . ولذلك يقرر المؤرخون أن كلمة (التبغ) مشتقة من كلمة (تباغو) وتباغو اسم جزيرة من جزر انتيل فى المكسيك . وقد انتقل التدخين من أمريكا الى أوربا عن طريق البحارة الاسبانيين ومن ثم انتقل الى آسيا . فسائر أنحاء المعمورة .

والواقع أن كولومب أرسل بذور التبغ الى أسبانيا باعتباره نبات طبي فيه فوائد لبعض الامراض . بيد أن الفكرة تطورت فأساء العالم استعماله ونسى الغرض الاساسى الذى نقل بسببه من العالم الجديد .

والتبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية ذو ساق اسطوانى قائم

وأوراق بيضاوية لزجة كبيرة الحجم وله رائحة كريهة مخدرة .
وهو يتركب من عدة مواد منها : النيكوتين والبريدين والبوتاس والنيكوتيانين والكوليدين والايدروجين واوكسيد الكربون وحامض البروسيك وكلها سموم خطرة . وأشدها فتكا بالجسم النيكوتين وهو الجزء الهام فى التبغ . وهو عبارة عن سائل زيتى شفاف لالون له كثير الكثافة طعمه حريف لذاع ورائحته كريهة . ويعد بالنسبة للسموم الخطرة فى المرتبة الثانية بعد حامض البروسيك الذى هو أفتك السموم حيث تكفى نقطة واحدة منه على اللسان لقتل الانسان فى الحال .

عقوبة الاعدام :

ولقد كان التدخين فى مبدئه عادة حقيرة ينبذها جمهور الناس حتى أن الملوك والسلاطين الذين بدأت تعرف فى عهودهم كالسلطان مراد الرابع وجاك الأول ملك انجلترا والشاه عباس الصفوى ملك ايران وغيرهم من الملوك المعاصرين منعوا شربه وعطلوا اسواقه وحاربوا تجارته بل تطرف بعضهم وفرض عقوبة الاعدام على متعاطيه . لذلك اقتصر أول الأمر على طبقات وضيعة منبوذة شأنه

شأن الهيروين والحشيش فى مصر الآن . بيد أنه انتقل تدريجا من السفلة والرعاع الى سائر الطبقات ، الى أن شاع استعماله شيوعا يدعو الى الدهشة والحسرة والتأمل . . فارتفع عنه الحجر العرفى والمنع الدولى ، واضطرد استعمال التبغ فسرى الى كثير من الطبقات ، حتى الى بعض الاطباء ورجال الدين ، واهل الحصافة والرأى .

ايراد للدول :

ومما يجدر ذكره أن أول من جعل من الدخان مورد ايرادات لخزانة الحكومة هو جاك الأول ملك انجلترا . ومن الغريب أنه كان من الد اعداء التدخين . وكان يصف رائحة الدخان بانها تشبه رائحة الجحيم فعمد لكى يمنع انتشاره فى البلاد ، الى فرض ضريبه باهظة على هذا النوع من المحصول ، فوجد بعد حين أن التدابير التى اتخذها بفرض هذه الضريبة لم تستطع أن تحول دون استهلاك الدخان فى انحاء بلاده . بينما اخذت الاموال فى الوقت نفسه تتدفق الى خزانة الدولة .

وسرعان ماذاع المثل الذى ضربه الملك جاك الاول لمحاربة الدخان فى مختلف بلدان العالم . وتحولت المسألة من محاربة التبغ الى

اعتباره مصدر ايراد للدولة . ثم تدرج الأمر على مدى الأيام وأخذ التدخين ينتشر وتروج تجارته .

وقد كان الدوق مانتو جورجونزا أول من قرر تعهد صناعة الدخان واحتكاره . ثم اتبع هذا النظام أثر ذلك فى جمهورية فنسيا

وعلى ذلك يكون تاريخ النظاميين فى انتاج الدخان سواء كان الاحتكار أو الضريبة ، يرجع الى مايزيد على ثلاثمائة سنة .

أساليب المدمنين :

وللمدمنين أساليب عديدة فى استعمال التبغ فمنهم من يدخنه على هيئة سجاير أو سيجار وهما الأكثر شيوعا . ومنهم من يدخنه فى (غليون) وبعضهم يلوكه أو يستنشقه بعد اضافة جانب من النطرون أو النوشادر اليه . ومنهم من يضعه فى عسل بطريقة خاصة ليزيد فى تأثيره ثم يدخنه فى نرجيلة (شيشة) أو جوزة وهو مايسمى بالدخان المعسل .. الخ - وما من طريقة من هذه الطرق أو سواها الا وثبت ضررها — وأن تباين مقدار الضرر فى كل منها — ثبوتا لايقبل الجدل . رغم أن بعض المدمنين يحاول الدفاع عن النوع الذى يتعاطاه . فلقد سمعت من أحد (المشايخ) فى معرض دفاعه

عن ادمانه السعوط (النشوق) أنه يمنع الصداع وآلام الاسنان ويمنع الخمول والميل للنعاس ولقد ذكرنى دفاعه هذا بالقصة التاريخية المشهورة عن الملكة كاترين دى مدسيس اذ كانت هذه الملكة أول من استعمل التبغ كنشوق (١) ، فقد كانت مصابة بصداع مزمن ووجدت فى أول الأمر مخففا لآلامها فى هذا المخدر ولكنه — ككل مخدر آخر — سرعان مافقد تأثيره فاضطرت الملكة أن تلجأ للمزيد منه . وهكذا حتى جاء اليوم الذى لم تنفعها أكبر كمية منه . بل وجدت نفسها أمام مرضين مرض الصداع ومرض المخدر ، وبذلك كانت عند حد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة ✲ واخرى تداويت منها بها

والقوانين المصرية تحرم زراعة الدخان . ومن هنا كان سر ارتفاع اثمانه لفداحة الضريبة الجمركية عليه . ومن هنا ايضا كان الغش الذى تلجأ اليه بعض شركات الدخان بادخال عناصر غريبة

---

(١) لذلك يسمى التبغ عند بعض الفرنسيين (حشيشة الملكة) ويسمى مسحوقه (سعوط الملكة)

الى صناعته وخلطه بالقش والحصر القديمة واشياء اخرى يعرفها الغشاشون مما يزيد فى مضار التدخين ويعرض المدخن لشر الامراض

ولسنا نتجنى على هذه الصناعة البغيضة بذكر ذلك الغش . فنحن لم نسلم بهذه الطرق الا بعد أن كشفت عنها الحوادث فى احدى السنوات الماضية ؛ حيث ضبطت شركه من شركات الدخان كانت ترسل من يبتاع لها الحصير القديم من مخلفات المساجد التى كانت تطرحها وزارة الاوقاف فى مزادات علنية ... اجل ضبطت كميات هائله من هذا الحصير فى مخازن احدى الشركات . وبتحليل السجاير التى كانت تنتجها هذه الشركة وجدت انها تحوى كمية كبيرة من قش الحصير ويومها كانت مصر منغمسة فى حمأة الفساد ووحل الرشوة . فلعب المال دوره فى كم الافواه عن اذاعة تلك الانباء .

وهكذا يبلغ استهتار بعض الشركات بصحة المواطنين فتضن حتى بالقش الجديد لخلطه بدخانها .

تجارة السبارس

فاذا اضفت الى هذه الاساليب (تجارة الاعقاب) « السبارس »

التى يباشرها الغلمان علانية تحت سمع الدولة وبصرها . لادركت اى خطورة تتعرض لها حياة المدخن فى هذا البلد . ولا تحسبن ان هذه الاعقاب (السبارس) تجمع لحساب نفر من الصعاليك .. كلا انها تجارة كبيرة .. يتجمع منها ملايين الجنيهات كل عام تبدأ حقيقة بالصعاليك . ولكنها تنتهى الى مخازن شركات كبيرة محترمة فتدس بين لفائفها الفاخرة المنمقة ليدخنها الاغبياء على انها اجود انواع الدخان التركى او الفرجينى

وفى امريكا .. لا يمر عام الا ويقدم أحد اصحاب شركات السجاير للقضاء . لانتاجه نوعا من السجاير يثبت انه يصنعه من الاعقاب اما عندنا فلا يحدث ذلك .. ليس لنزاهة شركاتنا ونظافتها . ولكن لغفلة القانون وذيوع الرشوة . وخسة النفوس .